

جماليات توظيف الخرافة في المسرح والسينما

قراءة في فيلم طبيب القرية ومسرحية كل واحد وحكمه

The aesthetics of employing the myth in theater and cinema, the film of the village doctor, and the play of each one, and his judgment as a model

علوش عبد الرحمان^{1*}، أ.د عيسى رأس الماء²

¹ جامعة وهران 1 أحمد بن بلة، دولة الجزائر، allouch.abderrahman@yahoo.com

² جامعة وهران 1 أحمد بن بلة، دولة الجزائر، casaoran70@yahoo.fr

تاريخ النشر: 2020/12/15

تاريخ القبول: 2020/11/27

تاريخ الاستلام: 2020/10/27

ملخص:

تناولت في هذه الدراسة جانبا مهما من التراث الشعبي، الذي وظف في المسرح والسينما، وهو الخرافة التي تعكس واقع الحياة الاجتماعية للمجتمع الجزائري. وتعتبر لونا مهما من ألوان التراث الشعبي التي تميز خصوصيات المجتمع وقيمه. نظرا لأهميتها على مساعدة نشر الوعي وخلق أفكار جديدة من شأنها أن تساهم في توعية المشاهد وتغيير فكره القديم المتحجر، نحو ذهنيات أرقى وأفضل وكنموذج على ذلك قمنا بدراسة نموذج مهم من النماذج السينمائية التي تناولت هذا اللون التراثي المهم وهو فيلم طبيب القرية لعثمان عليوات والكشف عن الخرافة وطرقها في العلاج الغير منطقية التي واجهتها طرق حديثة وسليمة من شأنها أن تسير بالمجتمع، زهاء التطور والازدهار، وفي جانب المسرح كشفنا عن أهداف الخرافة في مسرحية كل واحد وحكمه لولد عبد الرحمان كاكلي. باعتبارها مسرحية مهمة جمعت في طياتها عديد الأشكال التراثية والتي من بينها الخرافة كلون تراثي بات بارزا في لوحاتها ومشاهدها.

كلمات مفتاحية: السينما - الفيلم - طبيب القرية - كل واحد وحكمه - مسرحية - عثمان عليوات - ولد عبد الرحمن كاكى

Abstract:

In this study, I dealt with an important aspect of the folklore, which was employed in theater and cinema, which is the myth that reflects the reality of the social life of Algerian society. It is considered an important color of the folklore that distinguishes the peculiarities of society and its values. We chose for this study an important model, which is the film The Village Doctor, directed by Abdul-Ghani Mahdawi, and starring the able actor Othman Aliwat to study the manifestations of the myth in his timeliness. His rule Abdul Rahman Kaki. Trying through these two models to study the manifestations of the myth in each of them and the educational and awareness value of the myth that is reflected in both models.

1. مقدمة:

شكلت الخرافة لونا مهما من الألوان التراثية في الدراما بشتى أشكالها، سواء مسرحية كانت أو سينمائية، حيث حظيت باهتمام المبدعين ووظفوها في أعمالهم الفنية، بغية تأسيس خطابات سينمائية أو مسرحية، تعكس الهوية وترمز إلى القيم، وتهدف إلى نشر الوعي وإرساء قيم المجتمعات، شأنها في ذلك شأن الأسطورة والحكايات الشعبية، والموروثات الثقافية المتعددة، التي توارثتها الأجيال عبر الزمن، ونظرا لما تحمله الخرافات، من رمزية ودلالات تعبيرية، ومعاني فقد تمت معالجتها في أفلام سينمائية، وأعمال مسرحية بامتياز وهو ما تعكسه العديد من النماذج الفنية، التي شهدتها السينما والمسرح في الجزائر .

2. تظاهرات الخرافة في السينما الجزائرية:

شكلت موجة الأفلام الاجتماعية، التي شهدتها السينما الجزائرية بعد الاستقلال، تحولا واضحا في طبيعة التيمات، التي تناولتها حيث نجدها قد تحولت، من التركيز على موضوعات الثورة

كثيمة بارزة، إلى موضوعات اجتماعية، هدفها تجاوز التركة الثقافية، التي تركتها فرنسا في أذهان الجماهير، ومحاربة كل أشكال الجهل والطمس والأمية ومحاولة فتح أذهان الجماهير إلى ذهنيات جديدة بمجتمع أكثر تحضرا وانفتاحا، لذلك كان للتراث نصيبه في موضوعات السينما الجزائرية، بغية الحفاظ على الهوية والخصوصية، من خلال توظيفه في الخطاب السينمائي، بشكل رمزي يعكس هذه الهوية ويعالج النقائص والعيوب والذهنيات المتخلفة، التي باتت آفات سلبية في ذهنيات المجتمع الجزائري آنذاك.

تعتبر الخرافة إحدى الأشكال التراثية التي وظفت لهذا الغرض، حيث عالج السينمائيون خلالها صراع الفرد في المجتمع الجزائري، بين التمسك بخرافات وبدع قديمة تعكس الجهل الذي كان يعاني منه، وبين ترك هذه الرواسب الثقافية المتدنية، والسعي إلى انفتاح جديد نحو تطور ذهني وثقافي أرقى، مما كان عليه ولعل النماذج السينمائية الجزائرية تعتبر خير دليل على ذلك، حيث نجد على سبيل المثال، فيلم لالة زوينة، بطولة الممثلة ببيونة الذي عالج نوعا من الخرافات، المتعلقة بالسحر والشعوذة، وما تعكسه هذه الخرافات والآفة من ضرر على المجتمع الجزائري، وفيلم طبيب القرية الذي أخرجه عبد الغني مهداوي و بطولة الممثل الكبير عثمان عليوات، الذي عالج ذلك الصراع الذي كان يعيشه الفرد بين التمسك بمعتقدات خرافية، في معالجة المرضى، أو السير نحو الانفتاح والتطور وتجاوز تلك الخرافات، التي عكست الجهل والأمية جراء الواقع المزري والفقر والحرمان والتجهيل الذي بقي مترسبا في الأذهان عقب الاستعمار؛ كل هذه الموضوعات وأخرى عالجتها السينما الجزائرية من خلال توظيفها لعنصر الخرافة، كلون تراثي وظفته بشكل رمزي بامتياز .

3 أفلمة الحكاية:

تشكل الحكاية الخرافية مصدرا مهما من مصادر الإنتاج السينمائي "فقد توجهت السينما مع بدئ نشأتها إلى الاعتماد على الآثار الروائية المطبوعة وما كانت تقدمه من أساطير".¹

توظيف الخرافة بين المسرح والسينما في الجزائر: قراءة في فيلم طيب القرية ومسرحية كل واحد وحكمه
في إنتاجها للأفلام، فالنصوص الدرامية التي اعتمدتها السينما وهي تعالج الواقع، اقتبست
مواضيعها من التاريخ والأسطورة والفن الشعبي، وحولت هذه الفنون من الأدب إلى الصورة
المتحركة عبر أفلمتها".²

فيتحول النص الأدبي، إلى نص سينمائي أي سيناريو، قابل للإخراج السينمائي وبذلك
يصبح فيلم سينمائي.

"عملية الأفلمة ليست مجرد تصوير لصفحات رواية أو قصة بل هي عمل إبداعي يقوم به
كاتب سيناريو، يكمن في تحويل نص حكاوي إلى نص سينمائي "سيناريو"، عبر خطوة تسمى
بعملية الإقتباس أين يقوم كاتب السيناريو بالإقتباس من الحكاية وكتابة النص السينمائي،
وبهذا يكون قد حول الحكاية من خاصيتها السردية إلى نص سينمائي "سيناريو" يعرض في
شاشات السينما عبر صور متحركة تلتقط بآلة تصوير وعرض.

فيتغير النص الحكائي الذي يعتمد على الحكوي ويوظف فيه المتلقي خياله للتصور في ذهنه،
إلى نص سينمائي يتحول إلى فيلم، يراه المشاهد بالعين عبر شاشات فيها صور متحركة
توهمه كأنها حقيقة وبهذا يكون الانتقال من السمع والتخيل إلى النظر و التوهم.

وهذا هو "الانتقال بالعمل الأدبي من شكله النثري أو الشعري إلى شكل فني آخر هو الفيلم
السينمائي".³

وهذا ما يطلق عليه بالأفلمة "كما يراه كاتب السيناريو المعروف (سد فيلد) بأنه أخذ النص
الدرامي من رواية، أو قصة، أو مسرحية، أو مقالة، أو خبر".⁴

وقبل البدء في كتابة السيناريو لابد من الكاتب أن يركز على الفكرة التي هي جوهر العمل
والتي يعتمد الفيلم السينمائي عليها والتي يمكن أن يأخذها من قصة أو حكاية خرافية ويعيد
صياغتها بما يعرف بالسيناريو و الذي هو نص الفيلم، ومن خلاله يبنى الفيلم عبر خطوات
أهمها النص السينمائي".⁵

يعتمد كاتب السيناريو على العديد من الروافد في صياغة سيناريوهات أفلامه، ولعل من
أهمها هو الحكايات المتعددة التي توارثتها الأجيال، إضافة إلى الحكايات الخرافية، التي تقدم
عبراً وقيماً راقية، لجأ إليها كتاب السيناريو في صياغة موضوعات أفلامهم، لذلك فإن

توظيف الحيات والخرافات يتطلب، ميكانيزمات وآليات عدة، لكي يحمل الخطاب السينمائي بقيم وعبر وملامح الهوية والخصوصية؛ وهو ما تتميز به الخرافة، كلون أدبي يوظف في الدراما بشكل عام لمثل هذه الأغراض، بصفتها أيقونا معبرا ومهما في الخطاب السينمائي .

ولان السينما الجزائرية في مرحلة أوج عطائها الإبداعي، في مرحلة السبعينيات والثمانينيات كانت قد خرجت من قوقعة التيمات الثورية، نحو أفلام اجتماعية تهدف إلى تطوير ذهنيات الفرد الجزائري، وتجاوز الجهل الذي انتشر عند العديد من أفراد المجتمع وبعض العادات القديمة، وفتح أذهان الجماهير الى مستقبل مشرق ، فان فيلم طبيب القرية لعبد الغني مهداوي وبطولة عثمان عليوات، يعتبر نموذجا مهما من هذه الأفلام ، حيث غلب عليه طابع الخرافة كعنصر تراثي مهم، وظفه المخرج ليمز العديد من المواضيع، ويبعث من خلالها عديد الرسائل في خطابه السينمائي

1.3- توظيف الخرافة في فيلم طبيب القرية:

تمهيد:

اعتمدت السينما الجزائرية على كم هائل من الحكايات الخرافية، والشعبية والأساطير، من خلال توظيفها في الأفلام، ومن بين هذه الأفلام التي تم إنزال الخرافة عليها، فيلم طبيب القرية لعثمان عليوات، الذي وظفت فيه الخرافة بكثرة تعكس واقع الحياة الاجتماعية للفرد الجزائري ومستواه الثقافي، وتحاول السينما توعية المجتمع الجزائري عبر أفلامها، بكشف الحقيقة له حول هذه الخرافات، التي وظفها مخرج الفيلم.

2.3.توظيف الخرافة في شكل استحضار الأرواح:

وظفت الخرافة في فيلم طبيب القرية، في عدت مشاهد مدعمة بحوارات، فنرى في مشهد استحضار الأرواح، أين يقوم سي عيسى أب الطفلة المريضة، بمناداة الأرواح وطلب الشفاء

توظيف الخرافة بين المسرح والسينما في الجزائر: قراءة في فيلم طيب القرية ومسرحية كل واحد وحكمه

منهم لابنته المريضة والتوسل لهم، وهذا ما يظهر في هذه المقاطع الحوارية"يا الروانات، يا لالة خيرة، ياه تبرى، واك الطفلة راهي مرضت وأنا جبتلکم الدرايل من كل لون، واك ذبحتلکم كبش هنا، ياي إنشاء الله تبرى ونذبلكم عتروس، ونديرلكم قصعة تاع عيش، ها روانات، ياي جاوبوني شي هذا، ياه إنشاء الله تبرى، والقزاة لالة زهرة هذي زيدوها في البرهان".⁶

وهذا الذي قام به سي عيسى فهو خرافة، والمتمثل في طلب الشفاء وتقديم الهدى لغير الله مع الدعاء لتعظيم العرافة، والقيام ببعض الطقوس كضرب الحجر وإحضار الخيوط الملونة مع بعض الأقوال الغير مفهومة، والتي تقال عند استحضر الأرواح والقوة الغيبية، كما نراها أيضا في مشهد آخر أين يقوم سي عيسى باستحضار الأرواح ومناداتها بإستعمال البخور وبعض الكلمات الغير مفهومة، التي يستعملها السحرة والمشعوذين والعرافين في أعمالهم الشيطانية، فاستعملها سي عيسى عند مناداته للأرواح والتي نراها في هذه المقاطع الحوارية"يالالة ريحة، يالالة خيرة، ياخي الطفلة راهي مرضت، ومرضت بلاربعة وظربوها دوك الناس، ياسيدي ماتسلكوهاش ولا واش، ياه يلزلكم تسلكوها".⁷

وهنا في هذه المقاطع الحوارية نرى توظيف المخرج للخرافة من خلال استنجد سي عيسى بالأرواح وإستعمال البخور، طالبا الشفاء لابنته المريضة، وهذه الخرافة وظفها المخرج في الفيلم من أجل دعم الفكرة الرئيسية للفيلم والتي قد تكون قريبة كل القرب منها و التي هي الإبتعاد عن العادات القديمة السيئة والإعتقاد الباطل في التداوي والذي لا يجدي نفعاً، بل هناك طب بديل نافع ومفيد، يكمن في الطب الحديث.

3.3توظيف السحر:

تم توظيف السحر في الفيلم، في مشهد طهي الخبز من قبل الساحرة لالة الجوهر، التي استعملته مع بعض الطقوس كالبخور و إشعال الشموع، وبعض الطقوس السحرية، وهذا بغرض إيذاء الطيبية و إبعادها عن القرية، فأقدمت الجوهر المرأة الساحرة على إهداء الخبز للطيبية، وبعد التعرف عليها وعلى نواياها حتى قلبها اتجاه الطيبية، فتراجعت عن فعلتها

واسترجعت الخبز بحجة غير جيد، ففي هذا المشهد من الفيلم وظف المخرج الخرافة، عن طرق السحر والطقوس الشيطانية المصاحبة للسحر، وهذه الطقوس مبهمة غير مفهومة، وظفت في الفيلم لتحقيق المراد والأمر الصعب في مشهد طهي الخبز، وما يبين استعمال السحر مدعما للصور، هذا المقطع الحواري من قبل الساحرة لالة الجوهر "توريلكم كامل أشياء لي نديرها في السحر".⁸

وهذا المقطع الحواري في الفيلم يقوم مقام المفسر والشارح للعمل الذي قامت به وما تقوم به لالة الجوهر المرأة الساحرة.

ففرى توظيف الخرافة في الفيلم، عن طريق استحضار الأرواح وتوظيف السحر، وهذا كله من أجل العلاج والتداوي، وهذا ما يكشف لنا ثقافة المجتمع الذي كان يفضل التداوي بالطرق القديمة البدائية والطرق الخرافية الباطلة والسيئة، وفي المقابل هناك طرق حديثة وفعالة كان يبتعد عنها ويتجنبها، فعزى الفيلم الواقع وغيره عبر رسائل مررها للمجتمع، في مشاهد الفيلم الذي تعرض عليه فيراها كأنها تقع أمامه.

4- الحكاية الخرافية في المسرح:

تعد الحكاية الخرافية أهم وسيلة اعتمد عليها الإنسان منذ القدم لتمير أفكاره التي أراد بها تهذيب الأخلاق والسلوك، لدى الفرد وتمير الحكمة عن طريقها، وعبر من خلالها عن نظرية الكون و الحياة التي كان يعيش فيها، كما عبر عن نفسه ونقل أفكاره وخياله للآخرين واستخدمها أيضا كأسلوب للتهذيب والتثقيف وإبراز دور الأرواح الخيرة وقوى الخير في الانتصار على الأرواح الشريرة وقوى الشر، وهذا من أجل مواجهة خوفه من ما كان يحيط به وما كان مخفي عنه ، إلا أنه وجد ما كان يبعث في نفسه الاطمئنان و اجتياز ما كان يثير مخاوفه عن طريق الحكاية الخرافية.

توظيف الخرافة بين المسرح والسينما في الجزائر: قراءة في فيلم طيب القرية ومسرحية كل واحد وحكمه
وتتعدد الأهداف التي تجسدها الحكاية الخرافية في الإبداع المسرحي سواء كان نصا أو
عرضا، وهذا ما سنحاول تتبعه في مسرحية كل واحد وحكمه لولد عبد الرحمن كاكبي، وقبل
هذا سنتطرق إلى ذكر أهم أهداف الحكاية الخرافية:

4. 1- . القيمة التعليمية لتوظيف الخرافة في المسرح:

هناك بعض الحكايات الخرافية لها أهداف تعليمية نخبرنا عن الكون، وخلقته وعن الإنسان
و الحيوان، وكافة المخلوقات التي تعيش في عالمنا، فالحكاية تجسد لنا أشياء تصادفنا ولكن
طريقة السرد تكون خيالية، فمثلا يترك ماء عند السير من حافة الوادي، والخفاش لا يطير في
النهار إلا في الليل، والوديان والأنهار والحشرات، فالظواهر الطبيعية تفرز لنا كل هذه
الأشياء من خلال حكايات خرافية مليئة بجو من السحر والغموض، عن طريق حكايات
أبطالها جن و حيوانات وحتى من البشر.⁹

وهناك من الحكايات التي تقوم فيها الطيور و الحيوانات بأعمالهم الحقيقية في البيئة
مستعملة الكلام كالإنسان تماما، وهذا كقيام الكلب بالحراسة وإخلاصه لأهل المنزل الذي
يقيم فيه، والتضحية بنفسه من أجل إنقاذ أهل المنزل كالتصدي للصوص، والتعرض للطنين
بدل صاحبه معرضا نفسه للخطر، وهناك أيضا البقرة التي تعطيهم اللبن و الحمار الذي
يصبر على الأعمال الشاقة بتغلبه على حمل الأثقال والتعب، والديك الذي ينهض باكرا
ويوقظهم بالصياح، هنا يستوعب الطفل من هذه الحكايات قيمتها التعليمية ويتعلم ما يفيد
من هذه الحيوانات كقيامه باكرا مثل الديك و الإخلاص و الوفاء مثل الكلب و العمل بجد
ومعرفة فوائد الحيوانات وقيمتها، وفائدتها للإنسان.¹⁰

وهناك من الحكايات الخرافية التعليمية التي تناقلت عن طريق الموروث الشفوي من جيل
إلى جيل، كحكاية الرجل والعنديلبي التي تروي لنا أن رجل أمسك بعنديلبي فقال العنديلبي
أطلق سراحي وأعدك بثلاث نصائح ثمينة فأطلقه الرجل، ولما قال له النصائح التي هي لا
تجرب المستحيل، ولا تتحسر على ما فات، ولا تصدق حكاية بعيدة الاحتمال.

أعجب بها الرجل ولكن العنديلين أراد أن يمتحن الرجل فقال له عندي لؤلؤة كبيرة بحجم عين النسر، فأراد الرجل أن يمسك به من شدة الطمع، فقال له العنديلين غبي أعجبتك النصائح، لكن لم تعمل بها ومصدقا أن لي لؤلؤة أكبر من حجمي، فهذه الحكاية كانت تروى للكبير والصغير لغرض تعليمي.¹¹

وهي: "تؤدي وظيفة تعليمية أو إخبارية لأنها مصدر للمعلومات فهي تعكس صورة المجتمع الذي نعيش فيه، وهذا بجانب وظيفتها الوعظية من خلال بث قيم أخلاقية، كما في الحكايات الخرافية خاصة وباقي الحكايات عامة، حيث تنحصر أهم القيم التعليمية التي تحاول الحكاية بثها في مكافأة الخير بالخير ومعاقبة الشر بالشر".¹²

حيث نرى الجزاء للخيرين والعقاب للأشرار، ودروس تفيد المجتمع، من خلال مواضيع علمية، كالحجم واللون والصفات.

إن حكاية الحيوان هي أقدم الحكايات التعليمية، فهي تفسر للإنسان البدائي كل ما حوله عن طريق الحكاية التي شخصوها من الحيوانات، التي من خلالها يتعلم الفرق بين حيوان وآخر، وبين طبيعة الألوان فلون الحمامة البيضاء مخالف للون الغراب الأسود وامتتاع الخفافيش عن الطيران في النهار... الخ، وتقديس الكلب في اعتقاد بعض القبائل أنه هو من أتى بالنار، ووقوع البقرة من السماء فكسرت أسنانها ولما رآها الكلب استغرق في الضحك حتى انفتح شداقه وبلغا أذنيه وظل على هذا الحال، فكل هذه الحكايات الحيوانية لها غرض تعليمي، سواء ما يخص الألوان أو الصفات أو الإخلاص، فكانت تتداول بين الإنسان، فيتعلم منها ما يفيد في حياته.¹³

حتى يتمكن عن طريقها أي الحكاية الخرافية من معرفة أمور كثيرة مرتبطة به ومتعلقة بحياته اليومية، كما هناك أهداف تربوية تساهم في تهذيب الفرد وتكوينه الاجتماعي.

4. 2 أهداف تربوية:

استخدمت الحكايات الخرافية بهدف تربية الصغار وتسليتهم وحثهم على المطالعة واكتساب اللغة من خلال شخصياتها الحيوانية الخرافية التي توظف فيها ،والتي تتحدث كالبشر ولها نفس صفات البشر، والتي كانت جيدة وسيئة، فالحكاية الخرافية تقبح الكسل و الطيش و الخيانة و الخداع و تحث الأطفال على الابتعاد عن هذه الصفات الدنيئة و التحلي بالصبر و تدعوا إلى حسن التربية و المحبة ومن خلالها يكتسب الطفل خصال حميدة، وتربية حسنة، وهذا لتأثره بالحكاية الخرافية.¹⁴

كما تلعب الحكاية الخرافية دورا هاما في تربية الطفل بما تحمله في طياتها من أفكار ومعلومات عن الحياة وأسلوب ولغة يتعلمها الطفل، وهي تساعدهم على تحليل المكتوب ونقده و إبراز قيم الجمال، وتزود الطفل بالثروة اللغوية وتمده بمختلف الأساليب وتثري حصيلته من المفردات و التراكيب فتثري قاموسه اللغوي، وتزوده بمعلومات عن العلوم فمن خلالها يكتسب الطفل زادا معرفيا قيما، ويتعرف على الأشياء ورموزها كما يتعلم التعميم على أساس لفظي لغوي ، ولهذا تلعب الحكاية دورا مهما في تحسين المنطوق لدى الطفل و القدرة على تحليل المكتوب.¹⁵

ويستطيع الطفل من خلال تلقيه الحكاية الخرافية، أن يتعلم ما في الحياة من خير وشر ويستطيع بفضلها التمييز بينهما، كما يقدر على التمييز أيضا بين الصواب و الخطأ و الجميل و القبيح ، وتساعده في تنمية فكره وقدرته على اتخاذ القرارات و القدرة على الفصل بين الأمور الجيدة المفيدة للإنسان وبين الأمور السيئة الضارة للإنسان و هذا من خلال تلقي الطفل للحكاية الخرافية التي تكون شخصياتها حيوانية أو من النباتات أو جماد وتكون من الجان والخوارق في بعض الحكايات التي تعطي دروسا للطفل قيمة ونهاية سعيدة.¹⁶

يوجد العديد من الحكايات تبني المجتمع من خلال دروسها أو أهدافها التربوية، كما تساهم في بناء شخصية الطفل عن طريق الحكاية الخرافية، لغناها بالأهداف السيكولوجية لمعالجة نفسية الطفل.

4. 3 أهداف سيكولوجية:

إن الحكاية الخرافية لها تأثير كبير في نفسية الإنسان لتعاملها معه داخليا، من خلال الكشف عن الأفكار، والخواطر والخيالات إلى جانب مساعدة الإنسان على تخطي الصعاب داخليا، كالإحسان و الأمل وتعينه على مواجهة المشاكل العاطفية وتطوير النمو العاطفي للأطفال، وإبعادهم على المشاكل بمسافات طويلة، ومنحهم الأمل في المستقبل والحياة المشرقة من خلال النهاية السعيدة التي تقدمها لهم.

تكسب الحكاية الخرافية الفرد في المجتمع سواء كان كبير أو صغير الثقة بالنفس و الذكاء و الشجاعة، لما تتركه فيه من أثر، عند الاستماع إليها فيرى البطل فيها يحمل تلك الصفات، ويتخطى الصعاب ، فيتأثر بها المستمع ويريد أن يحصل على تلك الصفات التي يحملها البطل في الحكاية الخرافية. "حيث يجد الإنسان متفلسا له من كل أنواع الضغوط الاجتماعية حيث تتوارى الأهداف البعيدة المكتوبة في اللاشعور خلف الحكاية، فتبرز تلك الصفات الدفينة التي عمل التطور الحضاري على تحريمها ومنع الأفراد من مزاولتها، تبرز في الحكاية حيث يلقي بالمسؤولية الاجتماعية في بروزها على شخوص الحكاية الوهمية كي تحدث في نفس الملتقى التنفيس المطلوب".¹⁷

اتخذها كوسيلة للتنفيس عن نفسه، ومن خلالها حل مشاكله الاجتماعية الصعبة ، من خلال قضاياها المعقدة و التي نجدها في مكبوتات كل إنسان فتظهرها الحكاية و بالتالي يتخلص منها الإنسان ومن كبته، ويتحرر بفضل تلك الحكاية الخرافية، والغرض من ذلك حماية الإنسان من دوافع الخوف و القلق الداخلي.

توظيف الخرافة بين المسرح والسينما في الجزائر: قراءة في فيلم طبيب القرية ومسرحية كل واحد وحكمه

وتعمل الحكايات الخرافية التي لها أهداف سيكولوجية على نزع الخوف من نفسية الإنسان، ومعالجة القلق له من خلال حكاياتها التي تأتي بدروس مفيدة لنفسية الإنسان عن طريق حكايات خرافية شخصياتها من الإنس و الجن و الحيوان، وتساهم في بناء شخصية الطفل، فهي من أشد الحكايات تأثيرا في سلوكهم، وأقواها إثارة لتفكيرهم واستشارة لعواطفهم عن طريق أفكارها المتعددة، التي تدعو إلى القيم النبيلة و التقاليد الأصلية بأسلوب غير مباشر جذاب، يرى من خلاله الطفل ما يحتاجه في تكوين ثقافته، وتحديد هويته، ولها أثر كبير في تنمية وعيه و القدرة على اتخاذ القرار بما يساعد على تكوين شخصيته وتوجيه سلوكه وهذا راجع إلى كون الحكاية الخرافية ذات قدرة هائلة على استشارة المشاعر وتنمية القدرة على الابتكار لدى الأطفال، من خلال اقحامهم في عالم الخيال بعيدا عن الواقع، ورؤية الصعاب و التغلب عليها في الحكاية التي تعطي للطفل جو سحري يدعه يحلم كيفما يشاء في عالم الخيال ما يكسبه ملكته الخيال و القدرة على تخطي الصعاب وبناء شخصيته بشكل صحيح.

تلعب الحكاية الخرافية دورا مهما في اكتساب الثقة بالنفس وبناء الشخصية لدى الطفل كما تثير فيهم عواطف مختلفة ، من الفرح و الخزن و الحماسة و الغضب و الخوف و القلق و الاطمئنان، فتكسب الطفل نوع من التوازن في نفسيته فهي بمثابة ذلك المنبه الذي يوقظ الشخص من النوم فهي تعالج الطفل حتى إن أبدى مضطربا، وتهدي من روعه، كما تعالج سلوكه وتهذبه عن طريق القصص التي تأتي بهم من شخصيات محببة لدى الطفل و حتى شخصيات مخيفة كالغول و الجن وغيرها.

وبواسطة الحكايات المختلفة يجتاز الطفل مرحلة الخوف التي يتخطى فيها، من الفقر والغيرة و الخوف من المجهول وفقد أحد الوالدين وهي مخاوف حقيقية يوجد معظمها في اللاوعي ، وتلعب حكايات الجنيات دورا مهما في إخراج هذه المخاوف من نفسية الطفل و التخلص منها بواسطة زرع الثقة فيه بالقدرة على التعامل مع الواقع الذي ينتصر فيه دائما

الخير على الشر، من خلال رؤية الطفل، البطل منتصرا في النهاية ومجتاز كل العقبات التي مر بها في النهاية التي غالبا ما تكون نهاية سعيدة.¹⁸

فقد لعبت الحكاية الخرافية دورا هاما في بناء شخصية الطفل ، بما تحمله من أفكار وخيال واسع لعالم سحري ، فتنفس عما يجول في نفس الطفل فتشعره بالراحة و السعادة وتبصره بأنواع التصرفات في المواقف المتشابهة ، وتثري خياله وتنتمي قدراته على الإبداع و الابتكار وتجعله يتذوق الجمال و الإحساس بالحياة والحركة ، وتساعد على الاندماج في الحياة وقبولها، وتحسينها وتجميلها له، وتنتمي له القيم الروحية، وتبعث في الطفل حب المرح و الضحك وإبعاده عن الضجر ، وتسليه وتبعث في نفسه السعادة والسرور وتساهم في نموه العقلي مما يجعله قادر على العيش في هذه الحياة كإنسان عادي سليم العقل.

نجد الحكاية الخرافية تحتوي وقائع خيالية أو تقترب إلى الواقع، وهذا ماسنراه من خلال نموذج الدراسة.

5. تجليات الفكر الخرافي في نص مسرحية كل واحد وحكمو :

وظف ولد عبد الرحمان كاكي الخرافة كونها تعد اعتقادا يشترك فيه أفراد مجتمع ما، وتستند إلى أسباب غير طبيعية لتفسير أو حل المشكلات الطبيعية أو غيبية التي لا يستطيع تحديدها أو التحكم فيها، ومعنى ذلك أن العلة التي يستنتجها الإنسان في هذه الحالة قد لا ترتبط ارتباطا أصيلا بالمشكلة التي يحاول البشر تفسيرها أو إيجاد حل لها.

بعدما قامت الجواهر برمي نفسها في البحر يوم زفافها عندما نقلت في موكبها إلى الولي الصالح "سيدي مجنوب" الموجود على تلة مطلة على البحر والذي تزوره العروس في مستغانم تبركا به وتغتسل بماء البحر، فتستغل "جواهر " الفرصة وترمي بنفسها في البحر، فكثرت الحكايات حول انتحارها، فمنهم من قال بأنها تعمدت الانتحار ومنهم من قال بأن هذا الفعل من طرف الجان في قول البخار.

توظيف الخرافة بين المسرح والسينما في الجزائر: قراءة في فيلم طبيب القرية ومسرحية كل واحد وحكمه البخار : "فاتو زوج جمعات والحاج جبور حاب يدير عرسه نحكيلكم الحالة كي صرات ماسمعت تسمعوا النهار عرسها الداو البننت يزوروها من بعد هودوها للبحر ايوضوها أخطات القلطة وين كانوا معاها الزغراتات وراحت عمدن للبلاعة الزغراتات رجعوا من داك الوقت بكايات وفي طوع ما لعشات عرسها حضروا لعشات موتها الناس في داك الليل تحاكات كاين اللي قال عمدن حوست على الموت وكاين اللي قال الداوها الجنون كون جينا امدادحة اهنى تكمل الحكاية ولكن هذي رواية فيها درس وقرابة تتخلوا الدعوة داروها الجنون ونشوفوا اشتى راه رايح يصرى".¹⁹

يتجلى الفكر الخرافي في المسرحية منذ مشاهدتها الاولى وهو ما لمسناه من خلال ماجاء على لسان البخار الذي يرجع سبب موت الفتاة الى الجان والعفاريت حيث نجد من خلال هذا المقطع تناولا لفكر خرافي جاء على لسان شخصية تراثية معروفة بمعتقداتها الخرافية وهو شخصية البخار، حيث يشك جبور في الأمر فيكلف خادمه ناقوس بأن يجد له مشعوذا لكي يستعين بالجن ليعرف كيف توفيت جوهر، وبعد رمي الجوهر نفسها في البحر واستلام الجن الجثة قرروا أن يحكموا في هذه القضية.

لينتقل بنا كاكي إلى محاكمة تحدث في العالم الآخر "عالم الجن" حيث انتقلت قضية الجوهر من قضية انتحار إلى قضية اختطاف، يكون فيها مجبر في عالم الجن باعتباره وسيط بين عالم الإنس والجن .

البخار: "تقوس اجبرله طالب افقير ولكن مايعرف لاجن بحري لاجن ايطيير بانله واحد ارضى اللي خطرة الفقير دار فيه خير هداك الجن بروحه عند الجنون ماعنده حتى القدر مكتن شعال من طالب كشفه يتبهل ويهدر ولكن قاع التبهليله ابقاله احبيب الجن مجبر وصل الشكاية حتى الجنون الأرض واللي همنا الحكم والقانون في داك الحكاية عند العباد ولا عند الجنون شفنا بلي في داك الوقت كان البنادم القليل كالقرد اللي بماله ايطيح الميزان من جيهته والجيبة الأخرى ديما تترفع انشوفوا كيفانت عند الجنون".²⁰

ثم ينتقل بنا كاكبي إلى مشهد محاكمة الجن لشخصية مجبر :

مجبر: "الحقيقة يا اسيادي ماراهيش احنا استعرفنا بلي الشكاية راهي في يدينا ولكن الحكم ماهواش عندنا هذا الجن منكم وقليل اذا اتعقبوا في حكمكم نواصلوا القضية لجنون السماء وانشوفو كي يفتوها.²¹

وتوافق جان البحر أن ترفع القضية لجان السماء إذا هم أيضا استطاعوا أن يجدوا لها حلا ، وتتسارع الأحداث في صورة تبرز أهم الأهداف التعليمية والتربوية التي أراد الكاتب إيصالها للجمهور بلغة تحمل أبعادا جمالية.

وتتسارع الأحداث ليخبر الجن الحارس بأن يسيروا في طريقهم وعندما يجدون أحدا ثملا ويغني ويتحدث عن الحكم، فذلك هو القاضي، فيستغرب كل من مجبر والجن السعدي ويسألان الجن الحارس ، كيف يمكنه أن يحكم وهو ثمل فيخبرهما بأن الحكم لديه على حسب مابدا له، يرد عليه الجن السعدي، تركنا محكمة البر ومحكمة البحر وجئنا إلى محكمة السماء طمعا أن تفصل فيما أهمنا لنجد قاض ثمل يحكم فقط بين الغيوم والرياح، في هذه الأثناء يدخل القاضي مع كرسيه.

القاضي : " اهني ... جي النهار وين نبان قاضي القضاة القضية ساهلة القضية ساهلة بين البحر والماء صرات على طفلة صرا قاع هذا الخلط".²²

ويريد الجن السعدي أن يتكلم فيقاطعه ويطلب منه أن يترك كلامه عنده، لا أحد طلب منك التحدث فأنا حقيقة أحكم بين الغيم والريح ولكن في هذه القضية الأمر واضح أنت السارق فتخبره الجواهر بأنها كادت تموت وهو من ألقاها، يطلب القاضي من الجن أن يملأ له كأسه فقد فرغ فيطلب منه أن يسامحه فقد اندهش من هذه القضية فيطلب منه عدم الدهشة فهذه القضية مثل باقي القضايا.

توظيف الخرافة بين المسرح والسينما في الجزائر: قراءة في فيلم طبيب القرية ومسرحية كل واحد وحكمه
وتنتهي محكمة جن السماء باتهام جبور بالظلم واتهام الجن السعدي بالسرقة ، فيقوم الجن
السعدي برمي جثة الجوهر فيجدها الصيادون مرمية على شاطئ البحر .

وقد استطاع كاكي من خلال هذه الشخصيات والأحداث التي نسجها في المسرحية أن
يعالج الواقع من منظور خرافي جاعلا من شخصيات الجان والقاضي وجبور ...الخ مزيجا
بين الحقيقة والخيال والواقع والخرافة حيث حاول كاكي أن يعالج الوقائع من منظور خرافي
نظرا لما للخرافة من اهتمام كبير في كيان المتلقي ودورها في إيصال الأفكار لأنها لون
تراثي مهم يمكن من خلاله مخاطبة المتلقي بكيانه وهويته رغم تنافياها والواقع .

نلاحظ من خلال هذه المسرحية أن كاكي جسد الحكاية الشعبية بما تحتويه من أحداث
وعقدة وصراع بين الخير والشر فقام بمزجها بالخرافة من خلال استخدام الجن لينقلنا إلى
مشاهد تحدث في العالم الآخر تحمل التشويق والإثارة خصوصا عند الانتقال من مشهد
آخر ، فحين تتحول قضية الجوهر إلى قضية اختطاف من طرف جني من جن البحر
ويتمثل لها بهيئة حبيبها السعدي فيقدم جبور بتقديم شكوى لدى جان البر الذين لم يستطيعوا
الفصل في هذه القضية لأن القضية وقعت في البحر والبحر لديه قانونه الخاص وعدالة
البحر تختلف تماما عن عدالة البر .

لينتقل بنا كاكي إلى محكمة البحر والتي تبرأ الجن السعدي من تهمة الاختطاف لأنه
قام بمساعدة الجوهر ورعايتها كما أفصحت هي بدورها بأنه قام بمساعدتها وقد وجدت معه
السعادة والاستقرار، لينتقلوا بنا إلى محكمة السماء عسى أن يأخذ الحق مجراه، فيقوم
القاضي باتهام جبور بالظلم لأنه السبب في كل ماحدث وهو الذي ألحق الأذى بهذه الفتاة
الصغيرة واتهام الجن السعدي بالسرقة والغش فقد تشكل له بهيئة حبيبها سعدي رغم أنه قام
بإنقاذها وترفع القضية بعدما فصل القاضي فيها.

لعبت الخرافة دورا مهما في صناعة خطاب مسرحي مزج فيه كاكي بين الواقعي
والخيالي والحقيقي والخرافي محاولا ان يجعل من الخرافة التي جاءت سواء على لسان

الشخصيات في المسرحية او ما تناوله من شخصيات خرافية من بخار وجان ... الخ ، وسيلة مهمة لمخاطبة المتلقي بكيانه الوجداني والتراثي فكانت الخرافة هي السبيل إلى ذلك إذ وفق في توظيفها رفقة شخصيات تتناسب والموضوع المعالج.

6. خاتمة: من جملة النتائج والتوصيات التي خرجنا بها في هذه الدراسة هي أن الخرافة تعتبر قناة لرسائل عديدة حول القيم والهوية وغيرها لذلك كانت رافدا مهما من الروافد التراثية المعتمد عليها في أجناس الدراما مسرح وسينما .

اعتمدت السينما الجزائرية على العديد من أشكال التراث والحكايات الخرافية وهو ما لمسناه في فيلم طبيب القرية .

غلب طابع الخرافة والعادات القديمة على فيلم طبيب القرية واستخدمت فيه الخرافة من الناحية الرمزية بغية إثبات الهوية من جهة والتعبير عن واقع مريع عاشه الشعب الجزائري خاصة الطبقة المحرومة منه.

فيلم طبيب القرية هو فيلم اجتماعي يتناول قضية الجهل والأمية التي كان يعاني منها الفرد الجزائري وصراعه من أجل مواكبة التطور على جميع المستويات لذلك استخدم المخرج كل تلك الممارسات الخرافية والبدع المتداولة بين أفراد المجتمع كأيقونات تعزز وتقوي خطابه السينمائي وفق هدفه المنشود في تيمة فيلم ولتحقيق التواصل مع جمهوره المستهدف بل ومخاطبة المشاهد بشيء من عاداته وتقاليده حتى ولو كانت خرافية لكنها تعكس هويته وخصوصيته.

كما كان للخرافة نصيبها في الكتابة المسرحية الجزائرية وهو ما لمسناه في النموذج المسرحي المتمثل في مسرحية كل واحد وحكمه لولد عبد الرحمن كاكوي.

- توظيف الخرافة بين المسرح والسينما في الجزائر: قراءة في فيلم طيبب القرية ومسرحية كل واحد وحكمه
- حاول كاكي في خطابه المسرحي أن يعرض الواقع السياسي بالمقارنة بين الدكتاتورية و الديمقراطية التي يعاني منها الأنظمة العربية على وجه الخصوص في شكل احتفالي حلقوي أضفى على النص بعدا فنيا و جماليا.
- وظف الكاتب العناصر الخرافية لمعالجة الواقع السياسي المتمثل في دكتاتورية الحاكم الذي يستولي على الحكم دون إرادة الشعب المانح لهذه الصلطة، وممارسته للتعسف والقهر والاستغلال دون حسيب أو رقيب.
- تكشف لنا المسرحية على حقيقة إنفاق الحكام أموال الشعب في غير موضعها، مثل إقامة التظاهرات الثقافية غير الهادفة، التي تعود نتائجها بالضرر على الطبقة العامة، وبالفائدة على الطبقة الخاضعة(الحكام).
- استخدمت الحكايات الخرافية بهدف تربية الصغار من خلال شخصياتها الحيوانية الخرافية ضرورة اكتساب مبادئ وقيم تساعد على مجابهة قساوة الظروف الحياتية، بغية تحقيق مبدأ المواطنة.
- من خلال الرؤية الفكرية والفنية للكاتب المسرحي ولد عبد الرحمن كاكي تجسدت جل الأهداف الاجتماعية، كتهذيب النفوس، وضرورة تحقيق مبدأ العدل والمساواة بين أفراد المجتمع.

قائمة المراجع :

1. سعيد مراد، حوار مع السينما، وزارة الثقافة و الإرشاد القومي، دمشق، 1977، ص41
2. عز الدين عطية المصري، الدراما التلفزيونية مقوماتها وضوابطها الفنية، ص101
3. طيب مسعدي، أطروحة دكتوراه، أفلمة روايات نجيب محفوظ، اللص و الكلاب دراسة تطبيقية، جامعة وهران، قسم الفنون الدرامية، 2013-2014، ص 97
4. عز الدين عطية المصري، الدراما التلفزيونية مقوماتها وضوابطها الفنية، ص105
5. فيلم طيبب القرية أخرج عبد الغني مهداوي وبطولة عثمان عليوات
6. فيلم طيبب القرية م س

7. فيلم طبيب القرية م س
8. فيلم طبيب القرية م س
9. ينظر شوقي عبد الحكيم، موسوعة الفولكلور و الأساطير العربية، دار العودة بيروت، ط1، 1982، ص48
10. ينظر محمد السيد حلاوة، الأدب القصصي للطفل مضمون اجتماعي نفسي، مؤسسة حورس الدولية، 2000، ص 114.
11. ينظر شوقي عبد الحكيم، موسوعة الفولكلور و الأساطير العربية، م س، ص171
12. كمال الدين حسين، مدخل لفن قصص الأطفال، مركز الإسكندرية للكتاب مصر، ط، 2007، ص 78.
13. ينظر شوقي عبد الحكيم، موسوعة الفولكلور و الأساطير العربية، م س، ص 248، 249
14. ينظر عبد الإله عبد الوهاب العرداوي، وهاشمية حميد جعفر الحمداني، أدب الأطفال بين المنهجية والتطبيق، دار الرضوان للنشر والتوزيع عمان، ط1، 2014، ص47.
15. ربحي مصطفى عليان ، أدب الأطفال، دار صفاء للنشر والتوزيع عمان، ط2014، ص1، 126، 127.
16. ربحي مصطفى عليان ، أدب الأطفال، م س، ص134.
17. كمال الدين حسين، مدخل لفن قصص الأطفال، م س ، ص 78
18. ينظر جوان آيكن، مهارات الكتابة للأطفال، ترجمة يعقوب الشاروني سالى رءوف راجي، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط، 2015، ص172
19. ولد عبد الرحمن كاكاي، مسرحية كل واحد وحكموا، مطبعة الفنون الجزائر، 2002 ، ص36
20. ولد عبد الرحمن كاكاي، مسرحية كل واحد وحكمه، م س، ص37، 36.
21. ولد عبد الرحمن كاكاي، مسرحية كل واحد وحكمه، م س، ص43.
22. عبد الرحمن كاكاي، مسرحية كل واحد وحكمه، م س، ص45.